القضايا الاجتماعيّة في سورة النور*

رضوان جمال الأطرش** وصباح سعيد العرفي***

ملخص البحث:

يجد المهتم بالقضايا الاجتماعية ما للمجتمع من مكانة ودور كبير على نواحي الحياة اليومية المتنوعة. ومن هنا لا عجب من أن يلاحظ المتتبع للقرآن الكريم حرصه الشديد على بناء مجتمع قويم، ولفت الأنظار إلى ما قد يكون سببًا لمشكلة من جهة، والسعي إلى إيجاد حلول أولية، ومن ثم العلاج للقضايا الاجتماعية. وعليه؛ تهدف هذه الورقة إلى تتبع آي سورة النور خاصة، واستقراء ما حوته من قضايا اجتماعية مفيدة للمجتمع العالمي أجمع، والمجتمع الإسلامي تحديدا. فكيف تناولت سورة النور ظاهرة الزنا وأثرها على المجتمع، وكيف سعى الخطاب القرآني في السورة إلى التقليص والحرص على انقراض الظواهر الاجتماعية المرفوضة "المرضية" من مثل الغيبة والنميمة وإفشاء الفاحشة، وما الذي قدم من أسس ومبادئ في سبيل قيام مجتمع قويم من حسن الصلة في التعامل، وما الذي راعى في سبيل الابتعاد عن الأنماط المخدرة للمجتمع من قوانين ولوائح ثم عقوبات؟ هذه الأسئلة التي تنصبُّ أجوبتها على القضايا الاجتماعية في سورة النور هي ما ستسعى هذه الورقة إلى دراستها في صفحاتها.

الكلمات المفتاحية: القضايا الاجتماعية، غض البصر، الإفك، الزنا، القذف، حدود هذه الجرائم

---

* المقال أصلاً بحث صفي للأخت صباح سعيد العرفي، تقدمت به إلى أستاذ المادة الدكتور رضوان جمال الأطرش.

** أستاذ مساعد في قسم دراسات القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

*** صباح سعيد العرفي، محاضِرةٌ في قسم الدراسات الإسلامية، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة التابعة لوزارة التعليم العالي، في المملكة العربية السعودية، وطالبة الدكتوراه في قسم دراسات القرآن والسنة، بالجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

Abstract
Interested people in social issues find the importance of the status and the role of the community in large diverse aspects of daily life. Hence there is no wonder that a thoughtful reader of the Holy Quran will find that it is very keen to build an upright community. It draws attention to what may be the cause of the problem, seeking most important solutions and then providing treatment for social issues. In line with it, this paper aims at pursuing the verses of Surat Al-Nur in particular and investigation of what it contains among the useful social issues for the global community at large and the Muslim community in particular. How Surat Al-Nur dealt with the phenomenon of adultery and its impact on society? And how the Quranic discourse in the chapter sought the reduction and extinction of objectionable social phenomena such as backbiting, gossiping and spreading immorality? And what did it present among foundations and principles for the sake of establishing an upright community that keeps good relations in dealing with its members? And what laws, regulations, and penalties did it consider to keep the community free from narcotics? These questions related to social issues are answered in Surat Al-Nur and their study is sought in this paper.

Key words: Social issues, Lowering the gaze, Lying, Adultery, Slander, Penalties of crimes

Abstrak
Orang yang berminat dalam isu-isu sosial mendapati kepentingan status dan peranan masyarakat dalam pelbagai aspek besar kehidupan harian. Oleh itu, tidak hairanlah bahawa pembaca al-Quran yang bernas akan mendapati bahawa ia sangat berminat untuk membina masyarakat yang tegak. Ia menarik perhatian kepada apa yang boleh menjadi punca masalah, mencari penyelesaian yang paling penting dan kemudian menyediakan rawatan untuk isu-isu sosial. Sejajar dengan itu, karya ini bertujuan untuk mengikuti khususnya ayat-ayat Surah al-Nur dan penyiasatan tentang apa yang ia mengandungi antara isu-isu sosial yang penting bagi masyarakat global pada umumnya, dan khususnya umat Islam. Bagaimana surah al-Nur berurusan dengan fenomena zina dan kesannya terhadap masyarakat? Dan bagaimana wacana al-Quran dalam bab meminta pengurangan dan kepupusan fenomena sosial yang tidak menyenangkan seperti mengumpat, bergosip dan menyebarkan keruntuhan akhlak? Dan apa yang ia menyerlahkan di kalangan asas dan prinsip demi mewujudkan masyarakat tegak yang menjaga hubungan baik dalam berurusan dengan ahli-ahlinya? Dan undang-undang, peraturan-peraturan, dan penalti yang ia mempertimbangkan untuk memastikan masyarakat bebas dari narkotik? Soalan-soalan ini yang

berkaitan dengan isu-isu sosial dijawab dalam surah al-Nur dan kajiannya diteliti dalam karya ini.

Kata Kunci: Isu-isu sosial, Merendahkan Pandangannya, Berdusta, Berzina, Fitnah, Penalti Untuk Jenayah

مقدمـــة

إن الناظر البصير إلى سورة النور الكريمة يجد أنَّها اشتملت على قضايا اجتماعيَّة، لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات، سواء الإسلاميّ منها وغير الإسلاميّ.

ولعل الحكمة في تسمية هذه السورة بـ"سورة النور" كانت بسبب انجلائها واستنارتها لقضايا اجتماعيَّة عمِيت عن أبصار أرباب المجتمعات آنذاك.

ولقد أدرك العلماء في عالمنا اليوم أنَّ التقدم والتطور في التكنولوجيا والصناعات، ليس بشيء في حال فشل إدارة القضايا الاجتماعيَّة في المجتمع، فلذلك يصدق مَنْ قال: إن مجتمع الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– أكثر تطوُّرًا وتحضُّرًا من المجتمع الأمريكي في عالمنا اليوم، وهم الذين – أي أفراد مجتمع عمر بن عبد العزيز– لم يصعدوا إلى الفضاء، ولم يصنعوا مخترعات كتلك التي عرفها المجتمع الأمريكي، ولكنهم سَمَوا في المجال الأخلاقي فسادوا الناس بحسن خُلقهم، وأسسوا دولة قائمة على الأمن والاستقرار، وطمأنينة النفس، وتلك سمات لم تعرف طريقها إلى حضارة الغرب.

ومن أبرز القضايا الاجتماعيَّة التي أوردتها سورة النور ما يأتي:

أولا: صيانة المجتمع من جريمة الزنا

قد يسأل سائل: ما علاقة الزنا بالقضايا الاجتماعيَّة؟ فنجيب بأن صيانة المجتمع من جريمة الزنا تُعَدُّ من أهم متطلبات المجتمع الناجح؛ لأنَّ عناصر أي مجتمع تتكون مما يأتي:

1- من الفرد ذاته: تحول جريمة الزنا دون مشاركة الفرد في بناء مجتمع زاهر؛ لأنَّه سيصرف همَّه لإفراز شهواته الحيوانيّة في غير ما شرع الله.

2- من الرجل والمرأة أي (الزوجين): إلا أنَّ جريمة الزنا قد تمنعهما من المودة والرحمة التي من شأنهما شُرِعَ الزواج، بل قد تقود هذه الجريمة النكراء إلى "اللعان" والفراق الأبدي بين الزوجين، أو قد تقود إلى الرجم في حال ثبوت الزنا، أو الاعتراف من قِبل الزاني نفسه، أو تبين ذلك بالحمل كما في قصة (ماعز والغامدية) وعلى أية حال فقد تعثَّر عنصرٌ من عناصر المجتمع الناجح.

3- من الأسرة بمن فيها من الآباء، والأبناء، والأحفاد: فهؤلاء كلهم يساهمون في تكوين المجتمع الباهر، إلا أنَّ جريمة الزنا قد تحرمهم من ذلك كله، فالولد قد يفقد أباه في حال ثبوت الزنا عليه وهو محصن، وقد يحرم من التوريث في حال (اللِّعان)؛ لأنَّ الولد يلحق بأمه، وهكذا تنتشر شرار الزنا، وتُساهم في هدم البِنَى التحتية للمجتمع.

4- من القبائل، والشعوب، والأجيال: وكلنا يعلم كيف تشارك جريمة الزنا في زرع العداوة بين القبائل والشعوب، والأجيال، وقد تصل أحياناً إلى الحروب، والانتقام، والقتال الهمجيّ، وتشويه سمعة الناس.

يتَّضح مما تقدم حكمة تشريع حدِّ الزنا، وذلك من أجل الحفاظ على كيان المجتمع ونضارته.

وإدراك ضرر الزنا للمجتمع لم يكن أمرًا طارفًا، بل هو أمرٌ تليدٌ عرفته البشرية قبل الإسلام، فالشرائع كلها أجمعت على تحريم الزنا لتدميره للمجتمع. ألم يقل قوم مريم العذراء لها حين أتت، ووليدها بين يديها: ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا • يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 27-28]. قالوا لها: لقد جئت شيئًا عظيمًا، يقصدون البغاء والزنا -حاشاها لله من ذلك-، قلت: ولو كررتَ النظر أخي القارئ! في الآية

لوجدت أنها تنسب مريم البتول إلى أسرة فاضلة صالحة، سالمة من الشر، وخصوصًا من شر الزنا، الذي يهدم كيان المجتمع، ويمنعه من التقدم والازدهار. فلذلك قالوا لها مندهشين[1]: كيف كنت على غير وصفهما؟ -أي أبويها- وأتيت بما لم يأتيا به؟ وذلك أنَّ الذرية -في الغالب- بعضها من بعض، في الصلاح وضده، فلذلك تعجبوا كيف تثمر شجرةٌ طيبةٌ ثمرةً خبيثةً يسودُّ بها المجتمع!!!

فضلاً عن ذلك فإنَّ جريمة الزنا لا تقبلها النفوس السوية، وحتى لو سَوَّلَ لها الشيطان ذلك فإنها ترفضه ما إن رجعت إلى رشدها مباشرة، ويشهد على ذلك حديث أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: «ادْنُهْ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟». قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ...» وهكذا تواصل الحوار الإصلاحي بينه وبين النبي ﷺ إلى أن استقرت نفس الشاب للحق، حيث قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[2].

فانظر كيف قادت هذا الشاب نفسه السوية إلى إدراك خطورة الزنا وبشاعته. وعليه يقول الشيخ ممدوح تعليقًا على ما سبق: "إن جريمة الزنا لا تخفى على كل عاقل، وقد تبينت من وجهة نظر الإسلام (قرآن، سُنة، إجماع)،

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م)، ص492، بتصرف.

[2] أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ/1999م)، ج36، ص545.

بل من وجهة نظر العلوم الطبيَّة، والاجتماعيَّة، والنفسيَّة، ومن خلال الفطرة السوية، والضمير الإنسانيّ السليم. فهو أي الزنا يدمِّر الفرد، والجماعة، والمجتمع ككل"[3].

ثانيًا: اهتمام السورة بالعقوبات والحدود لحماية المجتمع من الدمار، ومنها ما يأتي:

1- تشريع حدّ الزنا: شرع حد الزنا قمعًا لهذه الجريمة البشعة، وتطهيرًا للمجتمع من شرورها وعواقبها الوخيمة. ولا ينبغي التراخي في تطبيق حدّ الزنا وغيره، فكم أدى التهاون بها إلى انتشار الجرائم في المجتمعات الحاضرة، تتضرر بها البلاد والعباد سياسيًّا، ودينيًّا، واجتماعيًّا. فسدًّا لهذه المشكلات الاجتماعيَّة يجب على الإمام القيام بحدود الزنا، وأن يكون تنفيذها على مرأى من الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:2]؛ لينْزجر المجتمع من ارتكاب مثل هذه الجريمة الشنيعة. يقول الشيخ عبد الحميد طهماز: "إن الحكمة في إقامة حدّ الزنا جهرًا هو زيادة في التنكيل، وزجرًا للمجتمع عن هذا العمل الفظيع"[4].

وهذا يدل على خطورة الزنا، وأنَّ له آثارًا سيئة في البنية الاجتماعيَّة، والخلقية، والصِحِيَّة للأمة، فينبغي لأرباب المجتمعات المسارعة إلى تطهير المجتمع من هذه الآفة الخطيرة. كما نتج من خلال تشريع حدود الزنا عقوبات أخرى تردع المجتمع ككل من الزنا والفواحش، ومنها:

2-عقوبة حدّ القذف: وهي ثمانون جلدةً كما في تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ

---

[3] ممدوح، **سورة النور ومشكلاتنا الاجتماعية**، ص23-24، بتصرف.

[4] طهماز، عبد الحميد محمود، **التشريع والهداية في سورة النور**، (بيروت: دار الشامية، ط1، 1417هـ/1996م)، ص15.

شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:4]، وقد شُرِعَ هذا النوع من العقوبة حفاظاً على سلامة المجتمع من الغلّ، والحسد، والبغض، والتهم الباطلة. وبما أنَّ الزنا جريمة يدركها العالمان، فقد يستخدمها الفرقاء، والمنافقون، والسفهاء سلاحًا لهم من النيل على أعراض الأبرياء، بهدف ازدرائهم واحتقارهم. وحادثة الإفك من هذا القبيل، بل يعتبر أشنع القذف وقع في بيت النبوة، ولكن الله سَلَّم حين أنزل براءة أم المؤمنين بقرآن يتلى إلى يوم القيامة. ومع هذا كله بقيت آثار حادثة الإفك في المجتمع الإسلاميّ، يروج لها أعداء الإسلام من المستشرقين، والمبشرين الحاقدين على الإسلام ونبيه ﷺ.

3- عقوبة اللعان: وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، إلى قوله: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور:6-9]. وكما هو معلوم، أن نفس الإنسان لا ترتاح وهو يعاشر امرأته المتهمة بالزنا، وهكذا الحال في المرأة، من أجل ذلك شرع الله ﷻ عقوبة اللِّعان بين الزوجين لينتهي إلى التفريق بينهما، وليلحق لعنةُ الله أو غضبُه على أحدهما. ولاشك أنَّ عقوبة اللِّعان تُعتبر مخرجًا للزوجين كما أشار إلى ذلك الشيخ ممدوح[5]، فمن جانب الزوج مثلاً إما أن يكظم غيظه أو يعاشر زوجة رأى منها ما لا يرضاه رجل سوي له، ويعد ذلك مخرجًا للزوجة أيضا التي قد تُتَهَمُ ظلمًا وعدوانًا من زوج لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة.

ثالثًا: أهمية حسن الظن ودوره في صيانة المجتمع:

لا يتنازع اثنان في دور حسن الظن بالله وبالعباد في صيانة المجتمع، وحمايته من الضياع، وهذا ما أكَّدته سورة النور من خلال قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ

[5] ممدوح، **سورة النور ومشكلاتنا الاجتماعية**، ص23-46، بتصرف.

سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12]. والناظر إلى مشكلاتنا الاجتماعيَّة عمومًا، وحادثة الإفك على وجه الخصوص، لوجد أنَّ السبب الرئيس في وقوعها هو سوء الظن بالنفس وبالآخر وخالقهما جلَّ وعلا، ولأجل خطورة هذه الظاهرة السيئة، ودورها في هدم المجتمع، استنكرها جميع الأمم وأخذوا بأحسنها. ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «رأى عيسى بن مريم عليه السلام رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو! فقال: عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني»[6]. فانظر كيف تصرف نبي الله عيسى عليه السلام في هذه القضية، فقد استطاع أنَّ يطفئ لهيب سوء الظن بالآخر، واستبداله بما هو خير منه، لعلمه عليه السلام بدور سوء الظن في هدم المجتمع، ودور نقيضه –حسن الظن بالله وبالعباد– في بناء المجتمع وحمايته.

وترى الباحثة أنَّ هذه السورة الكريمة استطاعت من خلال هذه الآيات أن تُثبت لنا قاعدة حسن الظن بالنفس والآخر ونبذ نقيضه؛ ليحيا المجتمع حياة سعيدة مباركة.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:12]، يتضمن قاعدة من قواعد الحياة الاجتماعيَّة في الإسلام، وأنَّه ينبغي؛ بل يستوجب، أن يكون الأساس للروابط الاجتماعيَّة في المجتمع الإسلاميّ ظنّ الناس فيما بينهم خيرًا، وأن يستبعدوا كل ظنون السوء إلاَّ فيما كان له أساس إيجابي قاطع، فلا سلامة لمجتمعٍ لا يؤمن بقاعدة حسن الظن بالنفس وبالآخر[7].

---

[6] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (اليمامة، بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1987م)، كتاب بدء الوحي، باب ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾، ج3، ص1271، رقم3260.

[7] المودودي، **تفسير سورة النور**، ص135، بتصرف.

فالإسلام يريد أن تَتَوَطَّدَ أسس المجتمع الإسلاميّ على قواعد الثقة المتبادلة، وحسن الظن بالله وبالنفس وبالآخر، لهذا السبب حرَّم الغيبة إلى الحدّ الذي جعل القرآن الكريم يقول عنها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12].

رابعًا: تشييع الفواحش وتنفيذ خطوات الشيطان يدمر المجتمع:

لا يسعد مجتمعٌ لا يحارب الفواحش بجميع أنواعها وصورها، كما أنَّ اقتراف الفواحش ونشرها في الأرض يعتبر تلبية لمطالب الشيطان، وتنفيذاً لخطواته. وهذا الذي أكدته لنا هذه الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور:19]، وقد كان عقلاء الأمة يوقفون مروجي الفواحش، ومتبعي خطوات الشيطان عند حدِّهم، وذلك صيانة للمجتمع من خطرهم وكيدهم. فقد روى مالك عن أبي الزبير المكيّ، أنَّ رجلاً خطب إلى رجل أخته، فذكر أنَّها قد أحدثت، -أي: زنت- فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ فضربه، أو كاد يضربه. ثم قال: مالك وللخبر[8] أي لماذا تخبر الخاطب بذلك، فالواجب في الفواحش سترها لا إذاعتها؛ لأنَّ مثالبها لا تقتصر على النفس فقط، بل تتعداها إلى المجتمع ككل.

ولذلك جاءت هذه الآيات الكريمة لتؤكد لنا أهمية محاربة الفواحش في المجتمع ما ظهر منها وما بطن، وكل ما يدعو الناس إلى المنكر ويثير غرائزهم الدنيئة، من القصص والروايات والأشعار والغناء، والصور والألعاب والمسارح

[8] مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، 1406هـ/1985م)، ج2، ص547.

والسينما –التي تدعو إلى الدعارة– كما تنطبق على المجالس والنوادي والفنادق التي يعقد فيها الرقص والطرب، يشهده الرجال والنساء على صورة خليعة تؤذي النفس المطمئنة الراضية[9].

وترى الباحثة أنه إن كان لا بدَّ من إشاعة خبر معين ثبت ثبوتًا قاطعًا، وكان للمسلمين فيه مصلحة، فلا بأس من ذلك، بشرط أن يتولى إشاعة ذلك الخبر أولياء الأمور من المسلمين، وهذا الذي رغب فيه القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:83].

خامسًا: الاهتمام بالإنفاق حتى في أحلك الظروف حفاظاً على وحدة المجتمع:

قد ينقطع الإحسان، وينعدم التكافل الاجتماعيّ في المجتمع بسبب وقوع مشكلة ما بين الأثرياء والفقراء، أو بين المنفِق والمنفَق عليه. وقد يكون من حق الغني أن يتصرف مثل هذا التصرف ضد الفقير خاصَّة إن كان الخطأ قد صدر من طرفه. ولكن لعظم هذا الدين، واهتمامه بوحدة المجتمع، وتأصيل روح المحبة بين جميع أفراد الأمة، ألزم الله الأثرياء بمواصلة أعمالهم الخيرية، وأن لا يقطعوها مهما كانت الظروف والأحوال. وهذا الذي أشارت إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:22]، فقطع المعونات للفقراء والمحتاجين لا شك أنه سيؤدي إلى العزلة الاجتماعيَّة. والقرآن الكريم حريص على وحدة المجتمع، فلذلك جاء

[9] المودودي، **تفسير سورة النور**، ص136، بتصرف.

الأمر بالعفو والصفح، حتى يحيا المجتمع حياةً سعيدةً مترابطةً متعاونةً. وقد طبق الأثرياء التّوجيهات القرآنيّة بعد نزول هذه الآية، فرجع المجتمع كما هو بفضل من الله وامتنانه.

سادسًا: تشريع الاستئذان من أجل الحفاظ على حرمة البيوت المسكونة

لم يترك الإسلام شيئًا للمسلمين فيه مصلحة إلا وبيَّنها لهم، خاصَّة فيما يتعلق بأمورهم الاجتماعيَّة. ويعتبر الاستئذان واحدةً من هذه القضايا التي ينبغي على المجتمع الإسلاميّ الاهتمام بها. والمذكور في الآية هو الاستئناس، وقد بيَّن لنا الطبري رحمه الله المقصود به حين قال: والاستئناس: "الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبراً بذلك مَنْ فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنهم أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم. وقد حكي عن العرب سماعاً: اذهب فاستأنس، هل ترى أحداً في الدار؟ بمعنى: انظر هل ترى فيها أحداً؟"[10] قلت: ولعل هذا التعريف يغنينا عن ذكر أقوال ابن عباس في هذه الآية.

أَمَّا الحكمة من ذلك فلا تَخفى على أي أحد، وهي أشهر من أن يشار إليها، ويكفي الإشارة إلى أنّ الهدف الأساس هو الحفاظ على حقوق الديار ومَنْ فيها من أهلها، فليس داخل البيوت كخارجها، ولعل سبب نزول آية الاستئذان توضح لنا ذلك، وهو حديث أشعث بن سَوَّار، عن كُرْدُوس، عن ابن مسعود قال: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم. قال أشعث، عن عدي بن ثابت: إن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله! إني أكون في منْزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها، والد ولا ولد، وإنه لا يزال يدخل

[10] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م)، ج19، ص149.

عليَّ رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال؟ قال: فنَزَلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: 27][11].

فمن هنا بدأت أحكام الزيارة وآدابها في المجتمع، إلاّ أنَّها نسيت في الوقت الحاضر مما جعل الناس يقعون في المحظور في بعض الأحيان. ويمكن أن نقسم حال الناس في الاستئذان إلى ستة أقسام، أربعة منها تتعلق بالمستأذَن منه أي (صاحب الدار)، واثنتان منها للمستأذِن (الزائر) وهي كالتالي:

أولاً: المستأذَن منه، فإنه يلجأ إلى إحدى هذه الحالات التالية:

1- الكذب: بأن يخبر المستأذِن بواسطة أطفاله بأنَّه غائب عن الدار، وهو في الحقيقة موجود فيها، وبهذا التصرف يكون قد كذب على المستأذِن، ودرَّب أولاده على الكذب، وهذا مذموم، بل هو من الكبائر.

2- النفاق: بأن يستقبل المستأذن بكل فرح وبشاشة وجهٍ، لكن ما إن خرج من بيته يبدأ يشتمه، ويحتقره، وقد يفعل ذلك أمام أطفاله، وهذا أسوأ من الأول.

3- التورية: يشارك أولاده على الكذب على المستأذِن بنية التورية، وذلك بأن يقول لهم: قولوا له: إني غير موجود في البيت، والحال أنَّكم تقصدون أنَّي غير موجود في غرفة الاستقبال. قلت: وكم استخدم بعض الناس هذه الحالة ففضحهم أطفالُهم أمام المستأذِن، فبدل أن يقولوا له: (والدي غير موجود في البيت)، يدرجون في العبارة بقولهم: (قال والدي: إنه ليس موجود في البيت).

---

[11] انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/ 1999م)، ج6، ص39.

4- القول بالحقّ: وهو إخبار المستأذن عن الحقيقة، فهو إما أن تستقبله، وإما أن تعتذر بعذر شرعي حتى لا تأثم. والحال الأخيرة لا شك أنَّها محمودة، وهي التي رغبت فيها الآية.

ثانياً: المستأذِن: وهو الذي جاء يستأذن إلى غيره إما بنية الزيارة أو غيرها، فهناك أمران لا بدَّ أن يقع واحد منهما في قلبه، وهما كالآتي:

1- تصديق المستأذَن منه (صاحب البيت)، بدون أن يحمل الحقد والضغائن في صدره، امتثالا لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: 27][12].

2- أما الأمر الثاني فهو أن يحمل في صدره البغض والكراهية، خاصَّة عند ما يشعر بالكذب، أو النفاق الذي يكنه المستأذَن منه في ضميره. وهذا لا شك أنَّه بداية تدمير المجتمع مما ينبغي التفطن له.

وهناك جملة من الفوائد في الاستئذان ذكرها الشيخ الشعراوي رحمه الله ألخصها في النقاط التالية:

1- إن قانون الاستئذان من شرع الله، ولا يعني ذلك تحريم المجتمع من التلاقي، وإنما يضع لهذا التلاقي آدابًا وحدودًا ينبغي مراعاتها.

2- إن الاستئذان يحفظ للبيوت حرمتها، وللمجتمع روابطه، فكل بيت له خصوصيته التي لا يحب صاحب البيت أن يطّلع عليها أحد، إما كرامةً لصاحب البيت، وإما كرامة للزائر نفسه، فالاستئذان يجعل الجميع يتحاشى ما يقود إلى إيذاء المشاعر.

[12] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص39.

3- إن الولوج في البيوت بدون مراعاة هذه الآداب، وتلكم القوانين يسبب أموراً تدعو إلى الريبة والشك في المجتمع.

4- إن الاستئذان خير للجميع، للزائر وللمزور؛ لأنه يمنع أن يتجسس أحد على أحد، ويمنع أن ينظر أحد إلى شيء يؤذيه. فتصور لو أنَّ أبا الزوجة أراد زيارتها ودخل عليها فجأة فوجدها في شجار مع زوجها، فلربما اطلع على أمور لا ترضيه، فيتفاقم الخلاف، وتضطرب الروابط الاجتماعيَّة بين الزوجين[13].

سابعًا: غضُّ البصر

وقد كرر المولى جلَّ وعلا الخِطاب الداعي إلى غضِّ البصر مرتين كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:30]، وقوله في حقِّ المرأة: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:31]. والمألوف أنَّ القرآن الكريم عندما يحضّ على شيء، أو ينهى عن شيء، فإنه يلجأ إلى استخدام لفظ عام مثل (يا أيها الذين آمنوا)، (يا أيها الناس)، (يا بني آدم) ولعل الحكمة في هذا التكرار هي أنَّه يراعي فرقاً دقيقاً بين النظرتين أي: نظرة الرجل ونظرة المرأة، وذلك من حيث الخصائص النفسية للصنفين، فطبيعة الرجل هي الإقدام، فهو إذا أحبَّ شيئًا سعى إلى إحرازه، لكن طبيعة المرأة التمنع والفرار، وهي ما دامت على فطرتها لم تنسلخ منها. ولعل الشارع الحكيم راعى هذا الفرق، فكرر الأمر بغضِّ البصر للمؤمنين تارة، وللمؤمنات تارة أخرى. وعلى أية حال فإن الآية تحضّ على غضِّ البصر بين الرجال والنساء، وهو في حقّ المرأة أغلظ لأنَّها كلها عورة، وهذا كله يهدف

[13] الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (القاهرة: أخبار اليوم، 1991م)، ج16، ص10244، 10245، بتصرف.

إلى إبقاء المجتمع بعيدًا عن كل ما يسبب الشك والريبة بين الرجال والنساء؛ ولأنَّ الشيطان يجري في دم أحدهما مجرى الدم، فيمكن أن يدمر المجتمع النقي بواسطة النظر الشهواني بين الصنفين والعياذ بالله[14].

ثامنًا: الترغيب في الزواج حفاظا على كيان المجتمع:

ولعل إصدار حكم الزواج والترغيب فيه في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا وَمَن يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:32-33]. ما هو إلا لأجل إعطاء حُلولٍ إيجابيةٍ، للرجل والمرأة، مؤكِّداً على أنَّه لم يبقَ بعد الاستئناس، وغضِّ البصر، إلا الزواج الصحيح الذي يجعل الطرفين يتزين للآخر في قالب صحيح. وهناك نموذجٌ تطبيقيٌ يؤكَّد لنا ما سبق الإشارة إليه، والمتمثل في قصة موسى وشعيب عليهما السلام، حين قال الباري تعالى عن سيدنا شعيب عليه السلام[15]: ﴿قَالَ إِنِي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابنتي هَاتَيْنِ﴾ [القصص:27] يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعليقاً على الآية: (ذلك لأنَّ موسى – عليه السلام– سيكون أجيراً عنده، وربما لا يتسامى إلى أن يطلب يد ابنته؛ لذلك عرضها عليه وخطبه لها وشجَّعه على الإقبال على زواجها، فأزال عنه حياء

---

[14] ممدوح، **سورة النور ومشكلاتنا الاجتماعية**، ص92-94، بتصرف.

[15] اختلف المفسرون في الرجل الذي أنكح ابنته لموسى عليه السلام فقال بعضهم: هو شعيب عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين، هذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد. ورواه ابن أبي حاتم، وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب. وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب. يقول ابن كثير رحمه الله: وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده ... ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه: "ثيرون"، والله أعلم. وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: وأثرون وهو ابن أخي شعيب عليه السلام. انظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص229.

التردد، وهكذا يجب أن يكون أبو الفتاة إنْ وجد لابنته كفؤاً، فلا يتردد في إعفافها)[16].

وكلنا يعلم دور الزواج في بناء المجتمع الراقي، وقدرته على تنظيم حياة الناس تنظيمًا دقيقًا، تُخرج الإنسان من الدائرة الحيوانية إلى العلاقة الروحية تتزين بالمودة والرحمة كما ذكره الباري جلّ وعلا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:21].

ولقد جاءت هذه الآيات لتقطع السبل والوسائل التي ينتهجها بعض أولياء الأمور في اختيار الزوج أو الزوجة لأبنائهم وبناتهم، والتي تعرقل الزواج في المجتمع، ومن أخطرها المغالاة في المهور، واشتراط النفقات العالية على مَنْ يقدم على الزواج بأحد أفراد أسرهم، أو النظر إلى المظاهر، مع أنَّ هذه الأمور كلها لا تساهم أبداً في بناء المجتمع، أو حتى في إرساء الأمن فيه.

خلاصة البحث:

تبين للباحثة من خلال هذه الدراسة أهمية العناية بالمجتمع؛ وأن العناية بالمجتمع وأفراده يأخذ أشكالا عدة، والاهتمام القرآني بهذا واضح عبر هذه الدراسة. ويمكن عرض خلاصة البحث في الأمور الآتية:

- سعى القرآن إلى تحديد طبيعة العلاقة بين الرجال والنساء من أبناء المجتمع في تعامل بعضهم مع بعض. فالتعامل والاحتكاك مطلب اجتماعي ضروري لا يمكن رفضه بقدر ما يمكن إيجاد حلول له ومحاولة تطبيق هذه الحلول على أرض الواقع.

---

[16] الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج16، ص10262.

- عني القرآن بتصفية المجتمع من ظاهرة الزنا؛ فشرع الحجاب، وشرع الأدب في التعامل وعدم الانكسار، وحث على غض البصر وقطع خطوات الشيطان، واتخذ موقفا صارما بأن أعلن عقوبة شديدة لهذه الظاهرة.
- كما لم يغفل الخطاب القرآني عامة، وفي سورة النور خاصة مكانة حق المجتمع المتمثل في حقوق أفراده؛ حيث حفظ حق الفرد في التصرف المطلق بما لا يتنافى مع المبادئ الإسلامية، ولا يتصادم مع حق من نوع آخر هو أعلى من حيث جلب المصلحة ودرء المفسدة.
- ومن هنا بين ضرورة حسن سمعة المجتمع، واعتبر تسرب الأقوال عن طريق الغيبة والنميمة والكذب والنفاق جريمة اجتماعية كبرى يُعاقَب عليها.
- ومن هذا الباب حفظ كرامة الإنسان، واعتبر الكلام في عرض الإنسان ونسبه وشرفه دون بينة ثابتة جريمة إنسانية، لا ينبغي التساهل فيه؛ حفاظا على مقصد الإسلام في حفظ الأعراض.
- في القرآن عناية أولية (وقاية) بمشكلات المجتمع من مثل غض البصر وتشريع الحجاب، وحرمة الكذب والغيبة وقذف المحصن، كما فيه العناية بالعلاج بعد الوقوع في ظاهرة من الظواهر بإقامة الحدود علنا؛ من قطع اليد وجلد الزاني ...إلخ.

فجملة القول في خلاصة البحث هي أن القرآن اهتم بالظواهر الاجتماعية في سورة النور، وتناول طرفا منها بالبيان – وقاية وعلاجا، ويقاس عليه- في سبيل الحفاظ على سلامة الاجتماع البشري. على أن ضرورة تجلية هذه الجوانب في القرآن مفتوحة لمزيد من البحوث، وهي مهمة يجب الانتباه إليها.